Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وأما مدحه فلم يعرف له قبل الإسلام سوى مدحه قيس بن عاصم وأبى حليس ، ولكل من المدحتين من الدوافع ما جعل العباس يتنكب مدهبه ، ويرغم نفسه على هذا الفن ، وذلك لأن قيس بن عاصم كان من الشخصيات المثالية التى أخذت العباس بما أثر عنها من كريم الخلال ، وطيب الفعال ؛ فلمدحه قيسا قصة ، وذلك أن رجلا[1] من بنى القين من قضاعة جاور قيس بن عاصم ، فأحسن جواره ولم يرمنه إلا الخير ، فلما فارقه ونزل فى جوار جوين الطائى ، أبى عامر بن جوين ، ووثب عليه رجال من طيء فقتلوه وأخذوا ما معه ، فما كان من العباس إلا أن اندفع يمدح قيس ابن عاصم لحمايته جاره ، ويذم رجال طيء على ما بدر منهم من الغدر والخيانة فى قوله[2] :

لعمرى لقد أوفى الجواد ابن عاصم ... وأحصن جارا يوم يحدج بكره
أقام عزيزا مستدى القوم عنده ... فلم ير سوءات ولم يخسن غدره
أقام بسعد يشرب الماء آمنا ... ويأكل وسطاها ويربض حجره

كما أن وراء مدحه أبا الحليس دافعا أقوى ، وذلك أن أبا الحليس قتل حويلد الذى قتل هريم بن مرداس أخا العباس ، فلم يمكن من العباس إلا أن يذكر هذا الصنيع له ، ويشيد بموقفه ، ويثنى عليه ، ويشكر له إقدامه على الثأر من قاتل أخيه فى قوله[3] :

أتانى من الأنباء أن ابن مالك ... كفى ثائرا من قومه من تغيبا[4]
ويلقاك ما بين الحليس خويلد ... أرى عجبا ، بل قتله كان أعجبا
فدى لك أمى إذ ظفرت بقتله ... وأقسم أبغى عنك أما ولا أبا
فمثلك أدى نصرة القوم عنوة ... ومثلك أعياذا السلاح المجربا

---

(١) انظر الأغانى ج ١٤ ص ٧٢
(٢) الديوان ص ٦١ ، ص ٦٢
(٣) الديوان ص ١١٢
(٤) تغيب فى الأمر : لم يبالغ فيه .